

تفسير البحر المحيط

@ 129 @ جنتك وباعدتنا من نارك ؟ فيقول : ولكم عندي أفضل من ذلك ، فيقولون : يا ربنا ، وما أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعده . . .
{ وَاللَّهِ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } حيث كلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الشهداء ، قاله الزمخشري ؛ وقال ابن عطية : ترجئة تقتضي الحز على إمتثال ما وقع به المدح في الآية ، كما في قوله : { فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ } تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم ، وتقدّم أن الرأفة أبلغ من الرحمة . . .

والعباد إن كان عاماً ، فرأفته بالكافرين إمهالهم إلى انقضاء آجالهم ، وتيسير أرزاقهم لهم ، ورأفته بالمؤمنين تهيئته إياهم لطاعته ، ورفع درجاتهم في الجنة . وإن كان خاصاً ، وهو الأطهر ، لأنه لما ختم الآية بالوعيد من قوله : { فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ } وكان ذلك خاصاً بأولئك الكفار ، ختم هذه بالوعد المبشر لهم بحسن الثواب ، وجزيل المآب ، ودل على ذلك بالرأفة التي هي سبب لذلك ، فصار ذلك كناية عن إحسان الله إليهم ، لأن رأفته بهم تستدعي جميع أنواع الإحسان ، ولو ذكر أي نوع من الإحسان لم يفد ما أفاده لفظ الرأفة ، ولذلك كانت الكناية أبلغ ، ويكون إذ ذاك في لفظ : العباد ، التفتاتاً ، إذ هو خروج من ضمير غائب مفرد إلى اسم ظاهر ، فلو جرى على نظم الكلام السابق لكان : والله رؤوف به أو بهم ، وحسن الالتفات هنا بهذا الاسم الظاهر شيئان ، أحدهما : أن لفظ : العباد ، له في استعمال القرآن تشريف واختصاص ، كقوله : { إِنَّ عِبَادِي لَإِيَّاسَ لَكَ عَلَيمٌ } { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } { سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } .

والثاني : مجيء اللفظة فاصلة ، لأن قبله : { وَاللَّامُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمَّهَادُ } فناسب : { وَاللَّامُ رَعُوفٌ بِالْعِيَادِ } . .

وفي هذه الآية ، والتي قبلها من علم البديع : وقد ذكرنا مناسبة هذا التقسيم للتقسيم السابق قبله في قوله : { فَامِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا } قال بعض الناس : في هذه الآيات نوع من البديع ، وهو التقديم والتأخير ، وهو من ضروب البيان في النثر والنظم دليل على قوة الملكة في ضروب من الكلام ، وذلك قوله : { وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ } متقدم على قوله : { فَامِنْ النَّاسِ }

مَن يَقُولُ { لَأَن قَوْلُهُ : { وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ } معطوف
 عليه ، قوله : { فَلَا ذَا قَصْدٍ تُمْ مِّنْ ذَا سِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ } وقوله :
 فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ { معطوف على قوله : { وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ } وقوله :
 { وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ } معطوف على قوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ }
 وعلى قوله : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي } فيصير الكلام معطوفاً على الذكر لأنه مناسب
 لما قبله من المعنى ، ويصير التقسيم معطوفاً بعضه على بعض ، لأن التقسيم الأول في معنى
 الثاني ، فيتحد المعنى ويتسق اللفظ ، ثم قال : ومثل هذا ، قد ذكر قصة البقرة ، وقتل
 النفس ، وقصة المتوفى عنها زوجها ، في الآيتين ، قال : ومثل هذا في القرآن كثير ، يعني
 : التقديم والتأخير ، ولا يذهب إلى ما ذكره ، ولا تقديم ولا تأخير في القرآن ، لأن التقديم
 والتأخير عندنا من باب الضرورات ، وتنزه كتاب الله تعالى عنه . .
 { بِرَالْعَبَادِ يُأَيِّسُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً }
 نزلت في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه ، كانوا يتقون السبت ، ولحم الحمل ، وأشياء تتقيها
 أهل الكتاب ، قاله عكرمة ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس ، أو : في أهل الكتاب الذين لم
 يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم) ، قاله الضحاك . وروي عن ابن عباس : أو في
 المسلمين يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام ، قاله مجاهد ، وقتادة . أو : في المنافقين ،
 واحتج لهذا بورودها